مجلَّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 17 (2012) : 136 - 140
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الحياة الثقافية في منطقة مزاب خلال العصرين الوسيط والحديث

يحي بن عيسى بوراس
قسم التاريخ جامعة غرداية
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

يُعدّ وادي مزاب من المناطق الجزائرية التي تزخر بتراث حضاري هامّ، متمثّلا في مظاهر ثقافية مادية وغير مادية. وقد أثارت هذه المظاهر الحضارية اهتمام العديد من الباحثين، منذ حوالي منتصف القرن 19م، فتناولوها بالدراسة من زوايا متعدّدة، تاريخية، اجتماعية، معمارية وعمرانية. وغير ذلك من الجوانب.

وفي هذه الورقة البحثية، نقدّم إطلالة على الحياة الفكرية والثقافية التي عرفتها منطقة مزاب عبر تاريخ يناهز ألف سنة، معتمدين في ذلك على المصادر التاريخية الموثّقة. وهي في حقيقة الأمر، حياة فكرية تمتدّ بجذورها إلى عصر التألّق الفكري في مواطن الإباضية ببلاد المغرب، كوادي ريغ ووارجلان والزاب وسوف وبلاد الجريد وجزيرة جربة وجبل نفوسة وغيرها[1]، بل إنّ أصولها تمتدّ إلى أبعد من ذلك، إلى عصر الدولة الرستمية التي بسطت سلطانها في القرن 3هـ/ 9م من تلمسان بالجزائر غربا إلى سرْت بليبيا شرقا، وعُرف عن أئمّتها الاحتفاء بالعلم والتبحّر فيه[2].

أوّلا: الحياة الفكرية في منطقة مزاب خلال العصر الوسيط (من مطلع القرن 5هـ إلى أواخر القرن 9هـ/11-15م)

ترجع بواكير النهضة العلمية في مزاب إلى النصف الأوّل من القرن 5هـ/ 11م، وتحديدا مع ظهور الإمام الشيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر (ت.440هـ) في مسرح الأحداث بمنطقة مزاب[3].

وعن أوّل احتكاك لهذا الشيخ الداعية بقبائل بني مزاب الزناتية أنقل نصّين تاريخيين:

النصّ الأوّل: يقول المؤرخ الشيخ أبو العبّاس أحمد بن سعيد الدرجيني في كتاب "طبقات المشايخ بالمغرب": «ومن أخبار الشيخ أبي عبد الله رحمه الله ما بلغنا أنّ أبا عبد الله كان يخرج للحلقة في أوان الربيع إلى بوادي بني مصعب لمآرب[4]؛ منها أنّه كان يطلب بذلك راحة خاطره وخواطر التلاميذ واستصلاحها، وتدبير قوى أجسادهم واستصلاحها، فإنّه علم ما في بلاد ريغ من رداءة الهواء وقلّة طيب الماء، وأيضا فإنّ بني مصعب كانوا واصلية فعمّت بركته[5]، فرجعوا إلى دين الحقّ والطريقة المرضية[6]، و...كان أكثر قصده في انتجاعهم، وحلول رباعهم. وكان يبيّن لهم طرقا يتبعونها، ويضرب لهم أمثالا حسنة يعملونها»[7].

النصّ الثاني: يقول الشيخ أبو القاسم بن إبراهيم البرادي (وهو من علماء جبل دمّر في النصف الثاني من القرن 8هـ/14م) عن تلك السفرات العلمية التي اضطلع بها الشيخ محمّد بن بكر إلى منطقة مزاب ما يلي: «وكان رحمه الله إذا دنا إبّان الربيع خرج بحلقته ومتّبعيه وكبار أصحابه إلى حِلال بني مصعب وأحيائهم، يدرّس ويَعِظ ويذكِّر، ويفتقد الأحوال. ويأمرون في جميع ذلك بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون الله ورسوله على هيئة إمامة الظهور. ويقصده

المسلمون بمعروفهم زكاةً وصدقةً ووصية، فيصرف ذلك إلى مصالح الطلبة ومهمّاتهم وإلى المستحقّين من الحاضرين، وينتقل في حلالهم من حالة إلى حالة، ومن حيّ إلى حيّ، فإذا وجّهت غِلَل ريغ وفواكهه نزل إليه وفَعَل مثل ما فعل»[8].

وقد انبثقت عن جهود الشيخ أبي عبد الله ومن سار على دربه من بعده، أمثال الشيخ أبي العبّاس أحمد الويليلي (ق.5هـ)، وأبي عمّار عبد الكافي الوارجلاني (ق.6هـ) [9]، تحوّل قبيلة بني مزاب الزناتية من الاعتزال إلى المذهب الإباضي، وظهور تركيبة اجتماعية أكثر تطوّرا، من مظاهرها التحوّل التدريجي لقبائل بني مزاب من حياة الانتجاع إلى حياة الاستقرار النهائي، وتوحيد القرى والمداشر التي كانت منتشرة على ضفاف وادي مزاب، لتتشكلّ قصور مزاب الخمسة على هيئتها الحالية، والمتميّزة في معمارها وعمرانها.

وفي قصور مزاب يحتلّ المسجدُ الموضعَ المتوسّط والمرتفع بالنسبة للنسيج العمراني، ليمثّل القطب الذي تلتفّ من حوله بقيّة المنشآت داخل القصر. وقد أقيمت إلى جانب مسجد كلّ قصر من القصور الخمسة كتاتيب لتعليم الصبيان مبادئ علم الشريعة واللغة العربية، تُعرف محلّيا بالمحاضر، جَمْع مَحْضرة. كما عُقدت العديد من حلقات التعليم حول الشيوخ والعلماء في المساجد.

وكانت مدراس وارجلان، وربّما مدارس وادي ريغ أيضا، منهلا للطلبة المزابيين بالنسبة للقرون الثلاثة: 5، 6، 7هـ/11، 12، 13م؛ فالشيخ أبو العبّاس أحمد الدرجيني يروي في "الطبقات" التقاءَه بالطالب بابا إيزمر المصعبي في مدرسة الشيخ أبي سهل يحي بن إبراهيم بوارجلان في حوالي سنة 616هـ/20-1219م[10].

وكان العلماء الوارجلانيون مرجعا في الفتوى والنوازل لشيوخ مزاب، فالمصادر الإباضية القديمة تذكر أسئلة الشيخ باعبد الرحمن الكرتي العقدية إلى مشايخ وارجلان، والتي تكفّل بالردّ عليها الشيخُ أبو عمّار عبد الكافي.

وما إن حَلّ القرن 6هـ/ 12م حتّى ظهر في مزاب علماء مزابيون، حملوا الأعباء الدينية والاجتماعية في المجتمع المزابي، ذَكَرَت المصادرُ التاريخيةُ ثلاثةً، هم: الشيخ عبد الرحمن الكرتي والشيخ أبو جعفر مسعود والشيخ إبراهيم بن منّاد[11].

ولمّا خَفَتَ نور إقليم وارجلان ووادي ريغ بما حلّ فيهما من الفتن، وبما أصاب قراهما ومدنهما من التدمير والتخريب[12]، توجّه الطلبة المزابيون إلى جزيرة جربة للنهل من مدارسها العامرة[13]، فنشطت حركة النسْخ واقتناء الكتب في النصف الثاني من القرن 9هـ/ 15م، وظهر نسّاخ مهرة، نقلوا العديد من كتب الفكر الإباضي وغيره. وبلغ إلينا من خطوط هذه الطبقة مستنسخات لأحمد بن داود بن موسى بن إسماعيل بن عيسى المصعبي، الذي أرّخ لبعض منسوخاته بين سنتيْ 866هـ و 881هـ (1462م-1476م) [14]؛ وأحمد بن إبراهيم بن عمر المصعبي الذي نقل أجزاء من ديوان العزّابة في المسجد الجديد بجربة في سنة 889 (1484م) [15].

وممّا يقف شاهدا على رواج حركة النسخ ووفرة الكتب في منطقة مزاب في أواخر القرن 9هـ/ 15م وأوائل القرن 10هـ/ 16م، حتّى غدت مركزا لتزويد المناطق الإباضية الأخرى بنوادر الكتب، إشارةٌ هامّة في رسالةٍ للشيخ سعيد بن عليّ الجربي بعث بها من مزاب إلى شيخه أبي النجاة يونس بن سعيد بن تعاريت في جربة، مخبرا إياه بعزمِه إفادتَه بنسخة من "سيَر المشايخ"[16].

ثانيا: <u>الحياة الفكرية في منطقة مزاب خلال العصر الحديث (من مطلع القرن 10هـ إلى أواخر القرن 13هـ/16-19م)</u>

ما إن أطلّ القرن 10هـ/ 16م على منطقة مزاب حتّى عرفت الحياة الفكرية نهضة وانتعاشا، تركت بصماتِها جليّةً في نواحي الحياة المختلفة للمجتمع المزابي. وكانت تلك النهضة، بلا ريب، من ثمار مدرسة العالم المصلح أبي عثمان سعيد بن عليّ الخيري الجربي (ت.927هـ)[17]، ومدرسة تلميذه من بعده، الإمام الشيخ أبي مهدي عيسى

بن إسماعيل بن عيسى المصعبي (ت.971هـ)[18]. وقد تجلّت تلك النهضة في ازدياد عدد الطلبة المزابيين الذين التحقوا بمدارس جربة ومصر لإكمال دراساتهم العليا، خاصّة في مجال علوم اللغة العربية والمنطق، وفي العلوم الطبيعية والرياضية. وفي هذا القرن نشطت حركة نسخ الكتب والدواوين، وأسّس بعض الشيوخ البارزين مكتباتهم الخاصّة[19].

ومن الشيوخ الذين غرفوا العلم من مدارس جربة ومصر رغم بُعد المسافة ومشاقّ الطريق، وكان لهم شغف بالنساخة وتنمية خزائن الكتب بمزاب في القرن 10هـ/ 16م، نذكر منهم: سعيد بن عليّ الجربي المولد والنشأة، الغرداوي القرار والوفاة؛ عبد العزيز بن يوسف بن موسى بن فضل اليسجني؛ أحمد بن عيسى بن عبد الله التجنيني؛ محمّد بن سعيد بن محمّد بن سليمان اليسجني الشهير بالشيخ بَلْحاج؛ محمّد بن عيسى بن منصور الغرداوي، محمّد بن سليمان الغرداوي وغيرهم.

وبفضل هذا النشاط الثقافي، قويت الروابط الثقافية بين مزاب ومواطن الإباضية الأخرى، كجزيرة جربة وعُمان، وأضحت منطقة مزاب مركز إشعاع يستقطب علماء من خارج مزاب؛ فتوالت عليه زيارات العلماء من وارجلان وجربة وعُمان، ومن بعض حواضر بلاد المغرب كمدينة فاس وتلسمان.

ومن العلماء الذين وفدوا على مزاب في القرن 10هـ/ 16م؛ نجد من جزيرة جربة الشيخ أبو عثمان سعيد بن عليّ الجربي الذي استوطن مزاب بصفة نهائية، ولا يزال نسله في غرداية يحمل لقب "عمّي سعيد"؛ ومن نفوسة الشيخ أبو عبد الله محمّد بن زكرياء بن موسى الباروني؛ ومن عُمان الشيخ مسعود بن أحمد، ومن تلمسان الفقيه أبو يحي التلمساني، ومن فاس الشيخ أحمد الفاسي[20].

في القرن 11هـ/17م، استمرّ نشاط الحركة الثقافية مع بعض الفتور؛ لكن سرعان ما توقّدت الشعلة من جديد في النصف الثاني من نفس القرن على يد علماء أجلاّء، كان لهم أبلغ الأثر في دفع الحركة الثقافية وتنميتها بما يضمن لها الاستمرار[21]. وكان على رأس تلك الكوكبة المباركة ثلّة من الشيوخ، نذكر منهم: الشيخين الشقيقين محمّد وموسى ابنيْ أبي سحابة الغرداوييْن؛ والشيخ أبي القاسم بن يحي وابنه الشيخ محمّد الغرداوييْن، والشيخ عبد الله بن عيسى اليسجني وغيرهم.

وظلّت الشعلة الفكرية -مع ما يعتريها من حين لآخر من ريح الركود والخمول- متوقّدة، إلى أن تسلّمها الشيخ المصلح ومجدّد النهضة العلمية والاجتماعية بمنطقة مزاب في نهاية العصر الحديث، الشيخ أبو زكرياء يحي بن صالح اليسجني (ت.1202هـ). وعُدّت الفترة التي تولّى فيها نشر العلم والقيام بالإصلاح الاجتماعي، في النصف الثاني من القرن 12هـ/18م، من أزهى فترات الحياة الفكرية في مزاب. فقد تخرّج من مدرسته علماء أفذاذ، جدّدوا للفكر الإباضي عهدا جديدا في ربوع مزاب؛ نذكر منهم ضياء الدين الشيخ عبد العزيز بن الحاج الثميني (ت.1223هـ)؛ الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن اليسجني (ت.1232هـ)؛ الشيخ يحي بن الشيخ محمّد بن الشيخ أبي القاسم الغرداوي الملقّب بابا (ت.1207هـ)؛ الشيخ يحي بن عيسى البُنوري (حيّ في 1188هـ)؛ الشيخ بَالحاج بن كاسي القراريّ؛ الفقيه إبراهيم بن سليمان البريّاني؛ الشيخ يوسف بن حمو بن عدّون اليسجني (ت.1252هـ) وغيرهم كثير.

وفي تلك الفترة تعدّدت المؤلّفات في العلوم الشرعية والعقلية؛ وراجت حركة النساخة، وامتهنها ناسخون محترفون مهرة؛ وانتشرت خزائن الكتب الخاصّة والعامّة[22]. ورُصدت لها أوقافٌ يعود ريعها على ما يضمنُ حفظَها وصيانَتها[23].

ولم تَخْمَد جَذْوَةُ تلك الشعلة المباركة، بل ظلّ العطاء -بحمد الله وفضله- متجدّدا ومتّصل الحلقات، رغم المكدّرات التي تعترض سبيله من حين لآخر، وما أكثر تلك المعوّقات والمكدّرات[24]، إلى أن بزغ

في سماء العلوم والمعارف وحيد دهره وفذّ زمانه قطب الأئمّة، الإمام الشيخ امحمّد بن يوسف اطفيش، الذي بلغ علمُه الآفاق، وأقرّ له العلماء من مختلف الأقطار بالتمكُّن في العلوم، تاركا إلى جانب مؤلّفاته الكثيرة، جيلا من العلماء الأتقياء، ساهموا في إقامة ركائز المجتمع على أسس إيمانية قوية، وسجّلوا بأعمالهم الجليلة تاريخا تليدًا، هو -بحقّ-صرح حضاري أصيل، جدير بالاهتمام، أقام دعائمَه على التقوى والهدى علماءٌ عاملون، بذلوا مهجهم لخدمة الدين، وهو لا يزال ينتظر أقلام الباحثين، لإخراجه إلى النور.

الهوامش:

1-شهدت هذه المواطن فترات إشعاعٍ فكريٍ يمتدّ عبر القرون الهجرية التالية: 4، 5، 6، 7، 8. وللوقوف على ما بلغته الحياة الفكرية عند إباضية المغرب من رقيٍّ وتألّق في تلك الربوع، يمكن الاطّلاع على المصادر الثلاثة التالية: الوارجلاني، يحي بن أبي بكر (حيّ في سنة 474هـ): السيرة وأخبار الأئمّة، تحقيق عبد الرحمن أيوب، الدار التونسية للنشر، 1985؛ الوسياني، سليمان بن عبد السلام (حيّ في 557هـ)، سِيَر المشايخ، مخطوط توجد منه عدّة نُسخ في خزائن مزاب؛ الدرجيني، أحمد بن سعيد (متوفّى في حوالي 670هـ)، طبقات المشايخ بالمغرب، حقّقه وقام بطبعه الشيخ إبراهيم طلاي، (د.م)، [2008]، طبعة ثانية مزيدة ومنقّحة.

2-عن الدولة الرستمية وجوانب الحياة المختلفة التي عرفتها، ينظر: بحّاز إبراهيم بكير، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، مطبعة لافوميك، الجزائر، الطبعة الأولى، 1985.

3-هو الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي المولد، النفوسي الأصل، الريغي الموطن والإقامة والوفاة. وُلد في حوالي سنة 345هـ بقرية فساطو من جبل نفوسة في القطر الليبي. يُعدّ من أئمّة العلم عند إباضية المغرب؛ ومؤسّس النظام التربوي والاجتماعي المعروف لديهم بحلقة العزّابة. وهو نظام يدير شؤون الحياة الدينية والاجتماعية للمجتمعات الإباضية ببلاد المغرب بعد أفول نجم الدولة الرستمية. ولا يزال النظام قائما وسائر المفعول في كلّ من مزاب ووارجلان (ورقلة حاليا).ولمزيد الاطّلاع على حياة الشيخ أبي عبد الله، ينظر: جمعية التراث (لجنة البحث العلمي)، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، 2000، ج2/ص368-371.

4-"بنو مصعب" هو الاسم القديم الذي أطلقه كتّاب سِيَر الإباضية على قبيلة "بني مزاب" الزناتية. وهي النسبة التي اعتمدها العلماء والشيوخ المزابيون أنفسهم، وأثبتوها في تراثهم المدوّن، والممتدّ من حوالي منتصف القرن 9هـ إلى أواخر القرن 13هـ وأوائل القرن 14هـ تقريبا. ورسمه العلاّمة عبد الرحمن بن خلدون، هكذا: "مصاب"، على أن يُنطق حرف الصاد زايا مفخّمة. وقال إنّ نَسَبهم يجتمع مع توجين وزردال وبني عبد الواد في بادين بن محمّد، ويجتمع هؤلاء مع بني راشد في محمّد، ويرتفع نسبهم جميعا إلى زحيك بن واسين بن ورشيك بن جانا، وكانوا معروفين بين زناتة الأولى ببني واسين. وأمّا اعتمادنا نحن فعلى إثبات الرسم التالي: "مزاب"، بضمّ الميم وتفخيم الزاي. (عن "مصاب"، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1968، ج6/ص122).

5-الواصلية نسبة إلى واصل بن عطاء (ت.131هـ)، وإليه تنسب المعتزلة، لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري.

6-يقصد بذلك المذهب الإباضي.

7-الدرجيني، المصدر السابق، ج1/ ص184-185.

8-البرّادي، أبوالقاسم بن إبراهيم (ت نحو.810هـ)، جواب على رسالة الشيخ سليمان، والجواب موجود ضمن مجموع رسائل مخطوطة، ويقع من 29ظ إلى 31و؛ المجموع محفوظ في مكتبة الشيخ صالح لعلي ببني يزقن، تحت رقم م195. وعن احتكاك الشيخ أبي عبد الله ببني مزاب في تلك الفترة المبكّرة، ينظر كذلك: الوارجلاني، المصدر السابق، ص255.

9-ينظر: معجم أعلام الإباضية، الترجمتان، رقم: 65، 562.

10-ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1/ ص181-182).

11-ينظر: مجهول (عاش في نهاية ق6هـ ومطلع ق7هـ)، ذِكْرُ بعض شيوخ الوهبية، ملحق بكتاب سِيَر الشمّاخي، طبعة حجرية، قسنطينة-الجزائر، (د.ت)، ص597. وتوجد للرسالة عدّة نسخ مخطوطة في بعض مكتبات وادي مزاب.

12-أكبر حملة تخريبية تعرّضت له قصور إقليم وارجلان ووادي ريغ كانت على يد يحي بن إسحاق الميورقي، وكان ذلك بين سنتيْ 26-627هـ. (يُنظر: الدرجيني ، المصدر السابق، ج2/ ص494؛ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج7/ ص98).

13-تعرّض عبد الرحمن بن خلدون إلى جزيرة جربة عندما تحدّث عن القبائل التي عمّرتها بقوله: «...وبينهم (أي قبائل جزيرة جربة) مجلّدات تشتمل على تآليف لأئمّتهم في قواعد ديانتهم وأصول عقائدهم وفروع مذاهبهم، يتناقلونها ويعكفون على دراستها وقرائتها...»؛ (ينظر: عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج6/ ص250).

14-عن بعض منسوخاته، ينظر: كتاب فيه شرح الدرّة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة، للفقيه أبي بكر بن عبد الله عُرف باللبيب، وهي نسخة مخطوطة في مكتبة الشيخ اطفيش ببني يزقن، تحت رقم: ج6؛ وكذلك: كتاب تلخيص القسمة وبيانها في الأموال، للشيخ أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن بكر، نسخة مخطوطة في خزانة الشيخ صالح لَعْلي ببني يزقن، تحت رقم: دغ107. ورقم الكتاب في فهرس الخزانة: 368.

15-عن بعض مستنسخاته، يُنظر: ديوان الأشياخ (ق.5هـ)، نسخة مخطوطة في خزانة دار التلاميذ بغرداية، رقمها في الفهرس: 271.

16-ينظر: الجربي، سعيد بن عليّ، رسالة إلى الشيخ أبي النجاة يونس بن سعيد بن تعاريت الجربي، وهي ضمن مجموع مخطوط في الخزانة الأولى من مكتبة الاستقامة ببني يزقن، وتقع من 44و إلى 46و. والمجموع بخطّ إسماعيل بن عيسى بن عبد الله المصعبي، ومؤرّخ في 974هـ. رقم الرسالة في فهرس الخزانة الأولى 380، ورقم المجموع في نفس الخزانة: دغ60. أمّا كتاب "سيَر المشايخ"، فالظاهر أن المقصود به كتاب السيَر، رواية أبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني.

17-عن الشيخ سعيد الجربي ودوره الريادي في نهضة منطقة مزاب، يُنظر: بشير بن موسى الحاج موسى، الشيخ عمّي سعيد بن عليّ بن يحي الخيري الجربي، حياته ودوره في نهضة وادي ميزاب، مؤسّسة الشيخ عمّي سعيد [غرداية]، 1427هـ/ 2006م.

18-عالم مزابي، من قصر مليكة، يُعدّ أبرز العلماء الذين تخرّجوا من حلقات الشيخ سعيد بن عليّ الجربي، وكان عضده الأيمن في حمل لواء النهضة العلمية والاجتماعية في النصف الأوّل من القرن 10هـ، ترك أجوبة علمية في الأصول، وله مراسلات إلى بعض الشخصيات العلمية على عهده، وله نظم في الفنون المعرفية المختلفة، كاللغة والمنطق والأصول وفي الحكمة والزهد وغيرها.

19-للاطّلاع على بعض خزائن الكتب في القرن 10هـ بمزاب، يُنظر: بشير بن موسى الحاج موسى، مقدّمة فهرس مخطوطات الخزانة العامّة، مؤسّسة الشيخ عمّي سعيد، غرداية، 2002، الصفحات: أ -د.

20-ينظر: أبو عثمان سعيد بن علي الجربي وأبو مهدي عيسى بن إسماعيل المصعبي: مجموع الأجوبة والرسائل، مخطوط في مكتبة الاستقامة ببني يزقن، نسخه إسماعيل بن عيسى بن عبد الله المصعبي بتاريخ 974هـ، رقمه في الخزانة الأولى: م60).

21-ذكر العياشي (ت.1090هـ) في رحلته "ماء الموائد" أنّ إباضية مدينة ورقلة كانوا يعتمدون في فتاواهم ونوازلهم على علماء مزاب. (يُنظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني [العياشي، عبد الله بن محمّد بن أبي بكر (ت.1090هـ)، ماء الموائد]، الشركة الوطنة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص86).

22-للاطّلاع على بعض خزائن الكتب في مدينة غرداية، يُنظر: بشير بن موسى الحاج موسى، مقدّمة فهرس مخطوطات الخزانة العامّة بمؤسّسة الشيخ عمّي سعيد، الصفحات: أ -د.

23-في نسخة مخطوطة من كتاب "شرح الجهالات"، للشيخ أبي عمّار عبد الكافي الوارجلاني، ومؤرّخة في 13 شعبان 1157هـ، سجّل الناسخُ الشيخ يحي بن محمّد بن أبي القاسم الغرداوي في وجه الجلدة الثانية من الغلاف ما يلي: «هذا الكتاب وكتاب شرح العدل محبّسان في سبيل الله، ولهما عرجون في الغرس الذي في غابة بَبْكَرْ بن نوح في حومة التُّزوزْ، وهو الذي في الكاف على زقاق جمل أَجّامْ...». (النسخة محفوظة في خزانة الشيخ حمو بن باحْمد بابا وموسى بغرداية، رقمها في الخزانة: حم44، وفي الفهرس: 38).

24-ما أكثر المكدّرات التي اعترضت أولئك العلماء العاملين؛ فمنها ما كان متّصلا بالطبيعة الصحراوية القاسية لمنطقة مزاب وما ينجرّ عنها من عنت الحياة وشظف العيش. ومنها ما كان متّصلا بالأوضاع الاجتماعية المتدهورة عندما يسود الجهل القاتل، وتتمكّن العصبية المقيتة في النفوس. ومنها ما كان متّصلا بالحياة السياسية والأمنية التي تضطرب من حين لآخر لأسباب مختلفة.